قصص جديدة للأطفال

بقلم

كامل كيلاني

القصة الرابعة

عبد الله البري وعبد الله البحري

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

الطبعة الثانية

حقوق الطبع والنقل محفوظة للناشر

١ — عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلصَّيَّادُ

كَانَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلصَّيَّادُ » رَجُلًا فَقِيرًا جِدًّا وَكَانَ لَهُ عَشَرَةُ أَوْلَادٍ يَسْعَى كُلَّ يَوْمٍ لِلْحُصُولِ عَلَى قُوتِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ غَيْرَ شَبَكَتِهِ ٱلَّتِي يَصْطَادُ بِهَا ٱلسَّمَكَ مِنَ ٱلْبَحْرِ وَيَبِيعُهُ ، ثُمَّ يَشْتَرِي — بِثَمَنِهِ — مَا يَقْتَاتُ بِهِ هُوَ وَأَوْلَادُهُ ٱلْعَشَرَةُ وَزَوْجُهُ ٱلْفَقِيرَةُ . وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَتْ زَوْجُهُ ، فَحَزِنَ لِمَوْتِهَا أَشَدَّ ٱلْحُزْنِ ، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ ٱلْحُزْنَ لَا يَنْفَعُ ، فَأَسْلَمَ أَمْرَهُ لِلَّهِ وَصَبَرَ عَلَى قَضَائِهِ ، وَرَضِيَ بِمَا قَسَمَهُ لَهُ .

وَذَهَبَ — فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي — مُبَكِّرًا إِلَى ٱلْبَحْرِ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى ٱبْنَتَهُ « أَمِينَةَ » بِإِخْوَتِهَا . وَكَانَتْ « أَمِينَةُ » بِنْتًا مُؤَدَّبَةً وَذَكِيَّةً ، فَعُنِيَتْ بِإِخْوَتِهَا خَيْرَ عِنَايَةٍ ، وَقَدْ أَصْبَحَتْ لَهُمْ — بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهَا — وَالِدَةً ثَانِيَةً تَغْمُرُهُمْ بِعَطْفِهَا وَحَنَانِهَا وَتُوَاسِيهِمْ وَتَسْهَرُ عَلَى خِدْمَتِهِمْ وَتَقُومُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ .

٢ – عَلَى شَاطِئِ ٱلْبَحْرِ

وَلَمَّا وَصلَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلصَّيَّادُ » إِلَى شَاطِئِ ٱلْبَحْرِ ، أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي ٱلْبَحْرِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَلَمْ يَرَ فِيهَا شَيْئًا مِنَ ٱلسَّمكِ ، فَأَلْقَاهَا – فِي ٱلْبَحْرِ – مَرَّةً ثَانِيَةً ثُمَّ أَخْرَجَهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا سَمَكَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ أَلْقَاهَا مَرَّةً ثَالِثَةً وَصَبَرَ عَلَيْهَا قَلِيلاً ، وَلَمَّا جَذَبَهَا وَجدَهَا ثَقِيلَةً ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ وَظَنَّ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ بِالسَّمَكِ ، وَلَكِنَّ فَرَحَهُ لَمْ يَطُلْ ، فَقَدْ وَجدَهَا – بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهَا مِنَ ٱلْبَحْرِ – مَمْلُوءَةً بِالرَّمْلِ وَٱلْحَشَائِشِ وَٱلْوَحَلِ . فَرَمَى مَا فِيهَا وَنَظَّفَهَا وَغَسَلَهَا ، ثُمَّ أَلْقَاهَا مَرَّةً أُخْرَى – وَهُوَ يَرْجُو أَنْ تَصْطَادَ شَيْئًا مِنَ ٱلسَّمَكِ – وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ، وَجَذَبَهَا فَرَآهَا ثَقِيلَةً جِدًّا ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

« لَا بُدَّ أَنَّ شَبَكَتِي قَدِ ٱمْتَلَأَتْ بِالسَّمَكِ فِي هَذِهِ ٱلْمَرَّةِ »

ثُمَّ جَذَبَهَا – بِكُلِّ قُوَّتِهِ – حَتَّى أَخْرَجَهَا بَعْدَ عَنَاءٍ شَدِيدٍ فَرَأَى فِيهَا جَرَّةً مَمْلُوءَةً بِالطِّينِ وَٱلْحَصَى .

فَحَزِنَ «عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ» أَشَدَّ ٱلْحُزْنِ، وَتَأَلَّمَ لِسُوءِ بَخْتِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَعَلَّ ٱلْفَرَجَ يَأْتِي بَعْدَ ٱلشِّدَّةِ، وَلَا بُدَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ، فَإِنَّ ٱللهَ - سُبْحَانَهُ - لَنْ يَتْرُكَنِي وَأَوْلَادِي بِلَا قُوتٍ فِي هٰذَا ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي لَمْ أَرَ لَهُ شَبِيهًا طُولَ عُمْرِي» ثُمَّ رَمَى ٱلْجَرَّةَ، وَنَظَّفَ شَبَكَتَهُ وَغَسَلَهَا، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ وَأَلْقَاهَا فِي ٱلْبَحْرِ فَلَمْ تَصْطَدْ شَيْئًا.

وَمَا زَالَ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ وَيُلْقِي شَبَكَتَهُ - مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ - حَتَّى جَاءَ وَقْتُ ٱلْمَسَاءِ وَلَمْ يَصْطَدْ سَمَكَةً وَاحِدَةً. فَسَارَ «عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ» فِي طَرِيقِهِ رَاجِعًا إِلَى ٱلْبَيْتِ وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مَحْزُونٌ لِمَا لَقِيَهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلْمَنْحُوسِ.

٣ - عَبْدُ ٱللهِ ٱلْخَبَّازُ

وَمَا زَالَ «عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ» سَائِرًا فِي طَرِيقِهِ - وَهُوَ مُتَأَلِّمٌ مَحْزُونٌ - يُفَكِّرُ فِي أَوْلَادِهِ ٱلْعَشَرَةِ ٱلَّذِينَ تَرَكَهُمْ فِي ٱلْبَيْتِ مِنَ ٱلصَّبَاحِ - بِلَا طَعَامٍ - حَتَّى وَصَلَ إِلَى دُكَّانِ خَبَّازٍ غَنِيٍّ مَشْهُورٍ ٱسْمُهُ «عَبْدُ ٱللهِ ٱلْخَبَّازُ» فَرَأَى ٱلنَّاسَ

مُزْدَحِمِينَ عَلَى دُكَّانِهِ لِشِرَاءِ ٱلْخُبْزِ وَرَأَى «عَبْدَ ٱللهِ ٱلْخَبَّازَ» مَشْغُولًا بِالْبَيْعِ

وَكَانَ عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ جَائِعًا لَمْ يَذُقْ طَعَامًا مِنَ ٱلصَّبَاحِ إِلَى ٱلْمَسَاءِ، فَلَمَّا رَأَى ٱلْخُبْزَ أَمَامَهُ — وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ ٱلْفُرْنِ — ٱشْتَهَتْهُ نَفْسُهُ، وَذَكَرَ أَوْلَادَهُ ٱلْعَشَرَةَ ٱلْجَائِعِينَ، فَتَحَسَّرَ لِفَقْرِهِ وَعَجْزِهِ عَنْ شِرَاءِ مَا يَقْتَاتُونَ بِهِ وَلٰكِنَّهُ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ ٱللهِ، وَعَلِمَ أَنَّ رِزْقَهُ لَا بُدَّ آتِيهِ.

وَكَانَ «عَبْدُ ٱللهِ ٱلْخَبَّازُ» صَاحِبُ هٰذَا ٱلْفُرْنِ رَجُلًا مُحْسِنًا كَرِيمًا مُحِبًّا لِلْخَيْرِ. فَلَمَّا رَأَى «عَبْدَ ٱللهِ ٱلصَّيَّادَ» وَاقِفًا أَمَامَ دُكَّانِهِ مَحْزُونًا مُتَأَلِّمًا يَنْظُرُ إِلَى ٱلْخُبْزِ بِلَهْفَةٍ وَحَسْرَةٍ عَرَفَ أَنَّهُ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ جَائِعٌ، وَأَدْرَكَ أَنَّ نَفْسَهُ تَشْتَهِي ٱلْخُبْزَ، وَيَمْنَعُهُ ٱلْخَجَلُ وَٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلسُّؤَالِ، فَنَادَاهُ بِرِفْقٍ وَهُوَ يَبْتَسِمُ لَهُ: «مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا ٱلصَّيَّادُ، تَعَالَ إِلَيَّ أَيُّهَا

ٱلرَّفِيقُ ٱلْعَزِيزُ هَلُمَّ يَاصَاحِبِي فَخُذْ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْخُبْزِ »

فَسَكَتَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلصَّيَّادُ » وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ ٱلِٱرْتِبَاكِ وَٱلْخَجَلِ ، وَلَمْ يَجْرُؤْ عَلَى طَلَبِ شَيْءٍ مِنَ ٱلْخُبْزِ لِأَنَّهُ كَانَ — عَلَى فَقْرِهِ — عَزِيزَ ٱلنَّفْسِ وَلَمْ يَتَعَوَّدِ ٱلسُّؤَالَ فِي حَيَاتِهِ قَطُّ. فَقَالَ لَهُ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلْخَبَّازُ » — وَقَدْ أَدْرَكَ مَا يَجُولُ فِي نَفْسِهِ — : « لَا تَخْجَلْ يَاصَاحِبِي ، فَلَنْ أُطَالِبَكَ ٱلْآنَ بِثَمَنِ مَا تَأْخُذُهُ مِنَ ٱلْخُبْزِ. » فَتَشَجَّعَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلصَّيَّادُ » قَلِيلًا وَقَالَ لَهُ : « ٱلْحَقُّ يَا سَيِّدِي أَنَّنِي خَجِلٌ مِنْكَ فَلَيْسَ مَعِي نُقُودٌ أَشْتَرِي بِهَا مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْخُبْزِ فِي هٰذَا ٱلْيَوْمِ ، فَإِذَا شِئْتَ أَعْطَيْتُكَ شَبَكَتِي لِتَكُونَ رَهْنًا عِنْدَكَ بِمَا آخُذُهُ مِنَ ٱلْخُبْزِ لِأَطْفَالِي ٱلْعَشَرَةِ ٱلصِّغَارِ ، ٱلَّذِينَ تَرَكْتُهُمْ مِنَ ٱلصَّبَاحِ بِلَا طَعَامٍ حَتَّى يُيَسِّرَ لِيَ ٱللَّهُ فَأُعْطِيكَ ثَمَنَ مَا أَخَذْتُهُ مِنَ ٱلْخُبْزِ . » فَزَادَ عَطْفُ ٱلْخَبَّازِ وَتَأَثُّرُهُ . فَقَالَ لَهُ مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا : « وَمِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ عَلَى ٱلْمَالِ إِذَا أَخَذْتُ مِنْكَ شَبَكَتَكَ ٱلَّتِي تَصْطَادُ بِهَا ؟ كَلَّا ، لَا تُقْلِقْ بَالَكَ يَاصَاحِبِي

بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَتَعَالَ فَخُذْ مَا تَشَاءُ مِنَ ٱلْخُبْزِ ثُمَّ أَحْضِرْ لِي بِثَمَنِهِ سَمَكاً مِمَّا تَصْطَادُ مَتَى يَسَّرَ ٱللَّهُ لَكَ».

وَلَمَّا رَأَى ٱلْخَبَّازُ تَرَدُّدَ ٱلصَّيَّادِ وَٱرْتِبَاكَهُ وَحَيَاءَهُ أَعْطَاهُ مَا يَكْفِيهِ ـ هُوَ وَأَوْلَادُهُ ٱلْعَشَرَةُ ـ مِنَ ٱلْخُبْزِ، وَقَالَ لَهُ: «خُذْ هَذِهِ ٱلنُّقُودَ يَا صَاحِبِي فَاشْتَرِ بِهَا لِأَوْلَادِكَ ٱلْعَشَرَةِ شَيْئاً مِنَ ٱللَّحْمِ وَٱلْفَاكِهَةِ وَٱلْحَلْوَى». فَشَكَرَهُ «عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلصَّيَّادُ» عَلَى كَرَمِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ مَا أَعْطَاهُ لَهُ، وَٱنْصَرَفَ وَهُوَ فَرْحَانُ وَٱشْتَرَى لِأَوْلَادِهِ أَطْيَبَ ٱلْمَآكِلِ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ وَقَدْ تَبَدَّلَ يَأْسُهُ أَمَلاً وَحُزْنُهُ سُرُوراً.

٤ — أَيَّامُ ٱلنَّحْسِ

وَفِى ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالِى ذَهَبَ « عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ » إِلَى ٱلْبَحْرِ وَظَلَّ يُلْقِى شَبَكَتَهُ فِيهِ ثُمَّ يُخْرِجُهَا فَلَا يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا مِنَ ٱلسَّمَكِ ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ ٱللَّيْلُ فَسَارَ فِى طَرِيقِهِ رَاجِعًا إِلَى بَيْتِهِ ، وَلَمَّا ٱقْتَرَبَ مِنْ دُكَّانِ « عَبْدِ ٱللهِ ٱلْخَبَّازِ » أَسْرَعَ فِى سَيْرِهِ حَتَّى لَا يَرَاهُ ، وَلَكِنَّ ٱلْخَبَّازَ رَآهُ — وَهُوَ يُسْرِعُ فِى خُطَاهُ — وَأَدْرَكَ أَنَّ خَجَلَهُ وَحَيَاءَهُ يَمْنَعَانِهِ مِنْ طَلَبِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْخُبْزِ وَٱلْمَالِ فِى تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ فَنَادَاهُ : « تَعَالَ يَا صَاحِبِى ٱلصَّيَّادَ فَقَدْ نَسِيتَ أَنْ تَأْخُذَ ٱلْخُبْزَ فِى هٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ » فَعَادَ إِلَيْهِ ٱلصَّيَّادُ وَهُوَ مُرْتَبِكٌ ، وَقَالَ لَهُ وَٱلْخَجَلُ ظَاهِرٌ عَلَى وَجْهِهِ : « كَلَّا لَمْ أَنْسَ شَيْئًا يَا سَيِّدِى ٱلْكَرِيمَ وَلَكِنَّ ٱلْخَجَلَ قَدْ مَنَعَنِى مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّنِى لَمْ أَصْطَدْ شَيْئًا مِنَ ٱلسَّمَكِ فِى هٰذَا ٱلْيَوْمِ ، وَلِهٰذَا لَمْ أُعْطِكَ مَا ٱقْتَرَضْتُهُ مِنَ ٱلْمَالِ وَلَا ثَمَنَ مَا أَخَذْتُهُ مِنَ ٱلْخُبْزِ . »

وَخَرَجَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ الْبَحرِيُّ وَيدَاهُ مَمْلُوءَتَانِ بِالْماسِ وَالْيَاقُوتِ .

«اطر ص ١٤»

فَقَالَ لَهُ ٱلْخَبَّازُ مُتَرَفِّقًا مُبْتَسِمًا: «لَا تُقْلِقْ بَالَكَ يَا أَخِي فَإِنِّي لَنْ آخُذَ مِنْكَ شَيْئًا مِنَ ٱلْمَالِ أَوِ ٱلسَّمَكِ إِلَّا إِذَا تَبَدَّلَ عُسْرُكَ يُسْرًا ، وَإِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكَ بِٱللَّهِ أَلَّا تَخْجَلَ مِنْ طَلَبِ كُلِّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنِّي.» ثُمَّ أَعْطَاهُ مِنَ ٱلْخُبْزِ، وَٱلْمَالِ مِثْلَ مَا أَعْطَاهُ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلسَّابِقَةِ . فَأَخَذَهُ ٱلصَّيَّادُ شَاكِرًا ، وَٱشْتَرَى لِأَوْلَادِهِ شَيْئًا مِنَ ٱلطَّعَامِ وَٱلْحَلْوَى وَٱلْفَاكِهَةِ. وَمَا زَالَ ٱلصَّيَّادُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَذْهَبُ إِلَى ٱلْبَحْرِ وَيُلْقِي فِيهِ شَبَكَتَهُ طُولَ ٱلنَّهَارِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصْطَادَ شَيْئًا، فَيَذْهَبُ لَيْلًا إِلَى دُكَّانِ ٱلْخَبَّازِ. فَيَأْخُذُ مِنْهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْخُبْزِ وَٱلْمَالِ وَيَشْتَرِي لِأَوْلَادِهِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ مُدَّةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

٥ — بَيْنَ ٱلصَّيَّادِ وَٱبْنَتِهِ

فَلَمَّا جَاءَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَادِي وَٱلْأَرْبَعُونَ جَلَسَ ٱلصَّيَّادُ يُفَكِّرُ فِيمَا لَقِيَهُ مِنَ ٱلْكَسَادِ. فَحَزِنَ وَتَأَلَّمَ، ثُمَّ بَكَى مِنْ شِدَّةِ ٱلْحُزْنِ وَٱلْأَلَمِ، فَسَأَلَتْهُ ٱبْنَتُهُ «أَمِينَةُ» — وَهِيَ مَحْزُونَةٌ لِحُزْنِهِ:—

«مِمَّ تَبْكِي يا أَبَتِي؟» فَقَصَّ عَلَيْهَا قِصَّتَهُ كُلَّهَا. فَقَالَتْ لَهُ: «وَهَلْ أَظْهَرَ لَكَ ٱلْخَبَّازُ شَيْئًا مِنَ ٱلنُّفُورِ أَوِ ٱلْإِعْرَاضِ؟ وَهَلْ آذَاكَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يا أَبَتِي؟» فَقَالَ لَهَا ٱلصَّيَّادُ: «كَلَّا يا بِنْتِي ٱلْعَزِيزَةَ، بَلْ هُوَ — عَلَى ٱلْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ — يَهَشُّ لِي كُلَّمَا رَآنِي وَيَبْتَسِمُ مُتَرَفِّقًا عَلَيَّ، وَلٰكِنَّنِي خَجِلٌ جِدًّا لِأَنَّنِي لَمْ أُعْطِهِ شَيْئًا مِمَّا ٱقْتَرَضْتُهُ مِنْهُ، وَقَدْ مَرَّتْ بِي أَرْبَعُونَ يَوْمًا لَمْ أَصْطَدْ فِيهَا سَمَكَةً وَاحِدَةً أُهْدِيهَا إِلَى هٰذَا ٱلْخَبَّازِ ٱلْمُحْسِنِ ٱلَّذِي غَمَرَنِي بِكَرَمِهِ. وَلَقَدْ هَمَمْتُ مِرَارًا بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِي وَرَمْيِهَا حَتَّى لَا أُتْعِبَ نَفْسِي بِهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ.» فَقَالَتْ لَهُ: «عَلَى ٱلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِدْرَاكُ ٱلنَّجَاحِ، وَلَا بُدَّ مِنَ ٱلصَّبْرِ عَلَى قَضَاءِ ٱللهِ. وَيَجِبُ عَلَيْكَ يا أَبَتِي أَنْ تَحْمَدَ ٱللهَ عَلَى لُطْفِهِ بِكَ فَقَدْ عَطَفَ عَلَيْكَ قَلْبَ هٰذَا ٱلْخَبَّازِ ٱلْمُحْسِنِ فِي أَيَّامِ ٱلضِّيقِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ ٱلْيُسْرُ بَعْدَ ٱلْعُسْرِ، وَٱلْفَرَجُ بَعْدَ ٱلضِّيقِ، وَمَنْ يَدْرِي؟ فَلَعَلَّ هٰذَا ٱلْيَوْمَ يَكُونُ خَاتِمَةَ

أيَّامِ ٱلنَّحْسِ وَفَاتِحَةَ أيَّامِ ٱلْيُسْرِ وَٱلْفَرَجِ » .

٦ — جُثَّةُ ٱلْحِمَارِ

خَرَجَ « عَبْدُ ٱللهِ ٱلصَّيَّادُ » مِنْ بَيْتِهِ — وَهُوَ مُسْتَبْشِرٌ بِمَا قَالَتْهُ ٱبْنَتُهُ لَهُ — وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلْبَحْرِ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِيهِ ، وَصَبَرَ عَلَيْهَا قَلِيلاً ثُمَّ جَذَبَهَا فَوَجَدَهَا ثَقِيلَةً جِدًّا ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « لَا شَكَّ أَنَّ أَيَّامَ ٱلنَّحْسِ قَدِ ٱنْقَضَتْ ، وَجَاءَ وَقْتُ ٱلْفَرَجِ . » ثُمَّ جَذَبَ ٱلشَّبَكَةَ بِقُوَّةٍ حَتَّى أَخْرَجَهَا — بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ — فَوَجَدَ فِيهَا جُثَّةَ حِمَارٍ مَيِّتٍ ، فَٱنْقَلَبَ فَرَحُهُ وَسُرُورُهُ حُزْنًا وَغَمًّا ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « لَقَدْ كُتِبَ عَلَيَّ ٱلشَّقَاءُ وَٱلنَّحْسُ ، وَمَا أَحْسَبُنِي أَصْطَادُ شَيْئًا بَعْدَ ٱلْيَوْمِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ آخِرُ أَيَّامِ ٱلْبُؤْسِ وَأَوَّلُ أَيَّامِ ٱلْفَرَجِ ، فَإِذَا بِهِ أَشَدُّ ٱلْأَيَّامِ نَحْسًا ، فَإِنَّنِي لَمْ أَصْطَدْ فِي حَيَاتِي كُلِّهَا مِثْلَ هٰذَا ٱلْحِمَارِ ٱلْمَيِّتِ ٱلَّذِي كَادَتْ تُهْلِكُنِي رَائِحَتُهُ ٱلْكَرِيهَةُ . » وَهَمَّ بِتَقْطِيعِ شَبَكَتِهِ وَرَمْيِهَا وَٱلرُّجُوعِ إِلَى بَيْتِهِ يَائِسًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَلٰكِنَّهُ

ذَكَرَ نَصِيحَةَ ٱبْنَتِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ ٱلشِّتَاءِ إِذَا ٱشْتَدَّ بَرْدُهُ ٱلْقَارِسُ جَاءِ بَعْدَهُ ٱلرَّبِيعُ ٱلْبَهِيجُ، وَأَنَّ ٱلصَّيْفَ إِذَا ٱشْتَدَّ حَرُّهُ ٱللَّافِحُ جَاءِ بَعْدَهُ ٱلْخَرِيفُ ٱلْجَمِيلُ، وَأَنَّ ٱلْبُؤْسَ إِذَا ٱشْتَدَّ وَٱسْتَحْكَمَ أَعْقَبَهُ ٱلْفَرَجُ. فَصَبَرَ عَلَى قَضَاءِ ٱللهِ ، وَأَخْرَجَ مِنْ شَبَكَتِهِ جُثَّةَ ٱلْحِمَارِ ٱلْمَيِّتِ وَرَمَاهَا ، ثُمَّ نَظَّفَ ٱلشَّبَكَةَ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ مِنَ ٱلْبَحْرِ يَتَلَمَّسُ رِزْقَهُ فِيهِ.

٧ — عَبْدُ ٱللهِ ٱلْبَحْرِيُّ

ثُمَّ أَلْقَى ٱلصَّيَّادُ شَبَكَتَهُ فِي ٱلْبَحْرِ — بَعْدَ أَنْ دَعَا ٱللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُ — وَصَبَرَ عَلَيْهَا مُدَّةً طَوِيلَةً ثُمَّ جَذَبَهَا فَرَآهَا ثَقِيلَةً جِدًّا ، فَظَلَّ يَجْذِبُهَا بِكُلِّ قُوَّتِهِ حَتَّى أَخْرَجَهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلًا عَجِيبَ ٱلْخِلْقَةِ ، غَرِيبَ ٱلشَّكْلِ جِسْمُهُ جِسْمُ إِنْسَانٍ وَلَهُ ذَيْلٌ طَوِيلٌ كَذَيْلِ ٱلسَّمَكِ، فَخَافَ ٱلصَّيَّادُ عَلَى نَفْسِهِ وَظَنَّهُ عِفْرِيتًا مِنَ ٱلْجِنِّ فَصَرَخَ مِنْ شِدَّةِ ٱلْفَزَعِ وَٱلرُّعْبِ وَأَرَادَ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ ٱلرَّجُلَ نَادَاهُ مُتَلَطِّفًا، وَقَالَ لَهُ بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ : « لَا تَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ

فَلَمَّا سَمِعَ الْخَبَّازُ نِدَاءَهُ أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَهُوَ فَرْحَانُ بِقُدُومِهِ .

« انظر ص ١٧ »

مِنِّى يَا صَاحِبِي فَأَنَا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ وَلَسْتُ عِفْرِيتًا كَمَا تَظُنُّ وَأَنَا أَعْبُدُ ٱللَّهَ – كَمَا تَعْبُدُهُ – وَإِنَّمَا أَنْتَ إِنْسَانٌ بَرِّىٌّ تَعِيشُ فِى ٱلْبَرِّ وَأَنَا إِنْسَانٌ بَحْرِىٌّ أَعِيشُ فِى ٱلْبَحْرِ . فَٱطْمَأَنَّ ٱلصَّيَّادُ حِينَ سَمِعَ كَلَامَهُ وَزَالَ عَنْهُ ٱلْخَوْفُ .

٨ – ٱلْفَرَجُ بَعْدَ ٱلضِّيقِ

ثُمَّ سَأَلَهُ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلصَّيَّادُ » عَنِ ٱسْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ : « ٱسْمِى عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلْبَحْرِىُّ ، فَمَا ٱسْمُكَ أَنْتَ ؟ » فَقَالَ لَهُ : « ٱسْمِى عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلصَّيَّادُ » فَقَالَ لَهُ : « أَنْتَ تَعِيشُ فِى ٱلْبَرِّ فَأَنَا أُسَمِّيكَ مِنَ ٱلْيَوْمِ عَبْدَ ٱللَّهِ ٱلْبَرِّىَّ وَسَنَكُونُ صَدِيقَيْنِ مِنْ هَذَا ٱلْيَوْمِ وَنَحْلِفُ عَلَى ٱلْوَفَاءِ جَمِيعًا وَنَلْتَقِى فِى صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ فَتُحْضِرُ لِى أَنْتَ مَا تَخْتَارُهُ مِنْ فَوَاكِهِ ٱلْبَرِّ وَأُعْطِيكَ مَا تُحِبُّهُ مِنْ كُنُوزِ ٱلْبَحْرِ » فَفَرِحَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلْبَرِّىُّ » بِذَلِكَ وَأَعَادَهُ إِلَى ٱلْبَحْرِ ، فَغَابَ عَنْهُ مُدَّةً قَلِيلَةً وَلَمْ يَعُدْ . فَقَالَ فِى نَفْسِهِ : « لَقَدْ خَدَعَنِى هَذَا ٱلرَّجُلُ وَلَوْ أَنَّنِى أَخَذْتُهُ مَعِى وَعَرَضْتُهُ فِى ٱلسُّوقِ لَعَجِبَ ٱلنَّاسُ مِنْ هَيْئَتِهِ ٱلْغَرِيبَةِ فَجَمَعْتُ مِنْهُمْ مَالًا كَثِيرًا » وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضَيَاعِ هَذِهِ

ٱلْفُرْصَةِ ٱلنَّادِرَةِ إِذْ خَرَجَ إِلَيْـهِ «عَبْدُ ٱللهِ ٱلْبَحْرِى» وَيَدَاهُ مَمْلُوءَتَانِ بِٱلْمَاسِ وَٱلْيَاقُوتِ وَٱلزُّمُرُّدِ وَٱلْمَرْجَانِ. فَفَرِحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَعَرَفَ صِدْقَهُ فِيمَا قَالَ، ثُمَّ وَدَّعَهُ بَعْدَ أَنْ وَعَدَهُ بِإِحْضَارِ سَلَّةٍ مَمْلُوءَةٍ بِٱلْفَاكِهَةِ فِى ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالِى فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱللهِ ٱلْبَحْرِىُّ: «إِذَا لَمْ تَجِدْنِى فَنَادِنِى بِٱسْمِى لِأَخْرُجَ إِلَيْـكَ تَوًّا» وَٱنْصَرَفَ «عَبْدُ ٱللهِ ٱلْبَرِّىُّ». وَهُوَ فَرْحَانُ بِمَا نَالَ مِنْ ثَرْوَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ يَكُنْ يَحْلُمُ بِهَا طُولَ عُمْرِهِ.

٩ — وَفَاءُ ٱلدَّيْنِ

وَلَمْ يَنْسَ فَضْلَ صَدِيقِهِ ٱلْخَبَّازِ عَلَيْـهِ، فَأَسْرَعَ إِلَى دُكَّانِهِ وَنَادَاهُ وَقَسَمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْخَبَّازِ مَا مَعَهُ مِنَ ٱللَّآلِئِ بِٱلسَّوِيَّةِ، فَفَرِحَ ٱلْخَبَّازُ بِهَذِهِ ٱلثَّرْوَةِ ٱلْعَظِيمَةِ أَشَدَّ ٱلْفَرَحِ وَشَكَرَهُ عَلَى وَفَائِهِ، وَحَمَلَ إِلَى بَيْتِهِ كُلَّ مَا فِى دُكَّانِهِ مِنَ ٱلْخُبْزِ، وَأَعْطَاهُ كُلَّ مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلنُّقُودِ. وَذَهَبَ «عَبْدُ ٱللهِ ٱلْبَرِّىُّ» إِلَى ٱلسُّوقِ فَٱشْتَرَى مِنْ أَطَايِبِ ٱلْمَآكِلِ وَٱلْفَاكِهَةِ وَٱلْحَلْوَى شَيْئًا كَثِيرًا جِدًّا وَعَادَ إِلَى أَوْلَادِهِ وَهُوَ مُبْتَهِجٌ. وَفَرِحَتْ «أَمِينَةُ» وَإِخْوَتُهَا بِمَا نَالَهُ أَبُوهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ

١٠ – بَيْنَ يَدَىِ ٱلْمَلِكِ

وذهبَ «عبدُ اللهِ ٱلْبَرِّىُّ» صباحَ ٱلْيَوْمِ ٱلتَّالِى إلَى صديقِهِ «عَبْدِ ٱللهِ ٱلْبَحْرِىِّ» وَمَعَهُ مِشَنَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بِأَطْيَبِ ٱلْفَاكِهَةِ.

وَلَمَّا وَصَلَ إلَى ٱلْبَحْرِ نَادَى: «يَا عَبْدَ ٱللهِ ٱلْبَحْرِىَّ» فَخَرَجَ إلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ مِنْهُ مَا أَحْضَرَهُ مِنَ ٱلْفَاكِهَةِ، وَمَلَأَ لَهُ ٱلْمِشَنَّةَ مِنْ كُنُوزِ ٱلْبَحْرِ وَنَفَائِسِهِ، فَذَهَبَ بِهَا إلَى ٱلْبَيْتِ وَأَخَذَ مِنْهَا بَعْضَ ٱللَّآلِئِ لِيَبِيعَهَا فِى ٱلسُّوقِ فَلَمَّا

رَأَى ٱلْجَوْهَرِيُّ مَا مَعَهُ ظَنَّ أَنَّهُ سَارِقٌ فَنَادَى رِجَالَ ٱلشُّرْطَةِ لِيَقْبِضُوا عَلَيْهِ ، وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى ٱلْمَلِكِ – بَعْدَ أَنْ أَهَانُوهُ وَضَرَبُوهُ – فَسَأَلَهُ ٱلْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا : « مِنْ أَيْنَ أَحْضَرْتَ هٰذِهِ ٱلنَّفَائِسَ ؟ » . فَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ كُلَّهَا فَوَاسَاهُ ٱلْمَلِكُ وَوَبَّخَ ٱلْجَوْهَرِيَّ وَرِجَالَ ٱلشُّرْطَةِ وَعَاقَبَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ وَرَأَى مَا أَعْجَبَهُ مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ وَوَفْرَةِ عَقْلِهِ فَقَالَ لَهُ : « إِنَّ ٱلْمَالَ يَا وَلَدِي يَحْتَاجُ إِلَى ٱلْجَاهِ لِيَحْمِيَهُ مِنْ أَذَى ٱلسُّفَهَاءِ وَٱلْأَشْرَارِ ، وَسَأُزَوِّجُكَ مِنِ ٱبْنَتِي وَأَجْعَلُكَ وَزِيرِي فَلَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى إِيذَائِكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ .

١١ – وَفَاءُ ٱلصَّدِيقَيْنِ

وَأَصْبَحَ « عَبْدُ ٱللّٰهِ ٱلْبَرِّيُّ » مِنْ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَزِيرَ ٱلْمَلِكِ وَصِهْرَهُ وَنَقَلَ أَوْلَادَهُ إِلَى ٱلْقَصْرِ مُعَزَّزِينَ مُكَرَّمِينَ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ صَدِيقَهُ « عَبْدَ ٱللّٰهِ ٱلْخَبَّازَ » ٱلَّذِي وَاسَاهُ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ ، فَذَهَبَ إِلَى مَخْبَزِهِ فَرَآهُ مُغْلَقًا ، فَسَأَلَ ٱلنَّاسَ عَنْ بَيْتِهِ حَتَّى ٱهْتَدَى إِلَيْهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ

مَرِيضٌ ، فَنَادَاهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْخَبَّازُ نِدَاءهُ أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ — وَهوَ فَرْحَانُ بِقُدُومِهِ — فَسَأَلَهُ « لِمَاذَا أَغْلَقْتَ دُكَّانَكَ ؟ » فَقَالَ لَهُ : « عَلِمْتُ مَا لَحِقَ بِكَ مِنَ ٱلْإِهَانَةِ فَتَأَلَّمْتُ لِذَلِكَ أَشَدَّ ٱلْأَلَمِ ، وَمَرِضْتُ بِسَبَبِ حُزْنِي عَلَيْكَ » فَشَكَرَهُ عَلَى وَفَائِهِ لَهُ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا حَدَثَ لَهُ وَزَوَّجَهُ مِنِ ٱبْنَتِهِ « أَمِينَةَ » وَقَدَّمَهُ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَذَكَرَ لَهُ وَفَاءهُ وَفَضْلَهُ عَلَيْهِ فَأُعْجِبَ ٱلْمَلِكُ بِوَفَائِهِمَا إِعْجَابًا شَدِيدًا وَجَعَلَ « عَبْدَ ٱللَّهِ ٱلْخَبَّازَ » وَزِيرًا مَعَ صِهْرِهِ « عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْبَرِّيِّ » .

١٢ — عَجَائِبُ ٱلْبَحْرِ

وَكَانَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلْبَرِّيُّ » يَذْهَبُ كُلَّ صَبَاحٍ إِلَى صَدِيقِهِ « ٱلْبَحْرِيِّ » بِسَلَّةٍ مَمْلُوءةٍ بِٱلْفَاكِهَةِ وَيَعُودُ بِهَا مَمْلُوءةً بِٱلْأَحْجَارِ ٱلْكَرِيمَةِ . وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ جَلَسَا يَتَحَدَّثَانِ فَدَعَا « ٱلْبَحْرِيُّ » صَدِيقَهُ ٱلْبَرِّيَّ لِيُرِيَهُ عَجَائِبَ

ٱلْبَحْرِ ، فَخَلَعَ مَلَابِسَهُ ، وَدَهَنَ جِسْمَهُ بِمَرْهَمٍ عَجِيبٍ أَحْضَرَهُ لَهُ حَتَّى لَا يُؤْذِيَهُ ٱلْمَاءُ. ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُ فِي قَرَارِ ٱلْبَحْرِ، وَرَأَى مَا يَحْوِيهِ ٱلْبَحْرُ مِنْ كُنُوزٍ وَمِنْ سَمَكٍ مُخْتَلِفِ

ٱلْأَنْوَاعِ وَٱلْأَلْوَانِ، مِنْهُ مَا يُشْبِهُ — فِي خِلْقَتِهِ — ٱلْجَامُوسَ وَٱلْبَقَرَ، وَمِنْهُ مَا يُشْبِهُ ٱلْكِلَابَ وَمِنْهُ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْتَلِعَ ٱلْجَمَلَ أَوِ ٱلْفِيلَ، وَلَكِنَّهُ يَنْفِرُ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ وَيَهْرُبُ مِنْهُ إِذَا رَآهُ. وَكَانَ يَرَى — كُلَّ يَوْمٍ — عَجَائِبَ وَغَرَائِبَ لَا تُوصَفُ

١٣ – كِذْبَةُ عبدِ اللّٰهِ ٱلْبَرِّيِّ

وكَانَ يَأْكُلُ – كَمَا يَأْكُلُ صدِيقُهُ «عَبْدُ اللّٰهِ ٱلْبَحْرِيُّ» – سَمَكًا نِيئًا فَسَئِمَتْ نَفْسُهُ ذَلِكَ ٱلطَّعَامَ وَأَرَادَ ٱلرُّجُوعَ إِلَى ٱلْبَرِّ، فَذَهَبَ بِهِ صَدِيقُهُ إِلَى بَيْتِهِ – وَهُوَ كَهْفٌ فِي قَرَارِ ٱلْبَحْرِ – وَأَرَاهُ أَوْلَادَهُ وَهُمْ يُشْبِهُونَهُ فِي ٱلْخِلْقَةِ، فَعَجِبَ مِنْ أَذْنَابِهِمْ وَعَجِبُوا مِنْهُ إِذْ رَأَوْهُ بِلَا ذَنَبٍ. وَسَأَلُوا أَبَاهُمْ:

«مَنْ هٰذَا ٱلْأَبْتَرُ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ سُكَّانَ ٱلْبَرِّ لَيْسَ لَهُمْ أَذْنَابٌ» فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ وَبَيْنَمَا هُمْ جَالِسُونَ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ أَحَدِ جِيرَانِ «عَبدِ اللّٰهِ ٱلْبَحْرِيِّ» يَعْرِضُ عَلَى ضَيْفِهِ أَنْ يَزُورَهُ فِي بَيْتِهِ. فَقَالَ ٱلْبَرِّيُّ لِلْبَحْرِيِّ: «لَقَدْ سَئِمْتُ

نَفْسِي ٱلْبَقَاءِ فِي ٱلْبَحْرِ وَلَا أُرِيدُ ٱلذَّهَابَ إِلَى جَارِكَ ، فَقُلْ لِرَسُولِهِ « إِنَّنِي قَدْ عُدْتُ إِلَى ٱلْبَرِّ أَمْسِ » فَصَاحَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلْبَحْرِيُّ » غَاضِبًا : « أَنْتَ تَكْذِبُ وَتُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَكْذِبَ ؟ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي يَكْذِبُ لَا وَفَاءَ لَهُ وَلَنْ أُصَاحِبَكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ » وَصَاحَ أَوْلَادُهُ : « هٰذَا عَجِيبٌ ! هٰذَا رَجُلٌ يَكْذِبُ وَمَا سَمِعْنَا طُولَ عُمْرِنَا أَنَّ رَجُلًا يَكْذِبُ » فَخَجِلَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلْبَرِّيُّ » أَشَدَّ ٱلْخَجَلِ ، وَعَادَ بِهِ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلْبَحْرِيُّ » إِلَى ٱلْبَرِّ وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ .

١٤ ــ خَاتِمَةُ ٱلْقِصَّةِ

وَعَادَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلْبَرِّيُّ » إِلَى بَيْتِهِ فَسَأَلَهُ ٱلْمَلِكُ عَنْ سَبَبِ غَيْبَتِهِ فَقَصَّ عَلَيْهِ كُلَّ مَا حَدَثَ فَعَجِبَ مِنْ قَوْلِهِ أَشَدَّ ٱلْعَجَبِ .

ثُمَّ عَاشَ « عَبْدُ ٱللَّهِ ٱلْبَرِّيُّ » مَعَ زَوْجِهِ وَأَوْلَادِهِ مَسْرُورِينَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ كِذْبَتَهُ ، وَكَانَ يَخْجَلُ كُلَّمَا ذَكَرَهَا أَشَدَّ ٱلْخَجَلِ .

انتهت القصة الرابعة

٢/٣٠٠٠/١١/١٩٣٣